بحث

في ظاهرة انحطاط لغة العرب

لمكرم عبيد الجمع بين الأضداد

إن الاختلافات التي نلمسها واقعة في لغات العرب إن هي إلا نتيجة لتباين ألسنتهم ، وتباعد أوطانهم ومنازلهم ، وتوزع قبائلهم في منطقة مترامية الأطراف متباعدة النواحي والأرجاء ، وربما كان من الأسباب الرئيسية تأثر بعض قبائلهم بمن جاورهم من الأمم الأخرى كالأحباش والهنود والروم والفرس وغيرهم

تلك الأسباب وغيرها قد أدت إلى تخالفهم في لغاتهم ومعوداتهم وتقاليدهم ، وعاداتهم وأنظمتهم المختلفة ، التي نراها واضحة في تاريخ العرب مما حفلت به حياتهم البدوية الغابرة .

وليس العرب — وحدهم — في هذا المضمار ، وإنما يشتركهم فيه غيرهم من الأمم القديمة . كما هو الشأن في لغات مصر القديمة .

وحيث نجد العرب قد اختلفوا في لغاتهم فإن كلامهم قد جاء على درجات من البيان ؛ إذ نراه حافلاً بالأفصح والفصيح الذين مهما نزل التنزيل ، ثم الردىء والقبيح وكلاهما قد ننزه القرآن الكريم عنهما ، يؤكد لنا ذلك ما روى عن معاوية — رضى الله عنه — قال يوماً لمن حوله : أى العرب أفصح ؟

فقام رجل من السماط فقال : يا أمير المؤمنين قوم ارتفعوا عن فراتية العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ، وتيامنوا عن

عنعنة تميم ، ليس فيهم غمغمة قضاعة ، وطمطمانية حمير ، قال . فمن هم ؟ قال. قومك قريش[1] .

ويشبه ما تقدم ما ورد فى قصة الأعرابى الذى أحضر طعامًا صنعه عبد الملك بن مروان ، فأثنى عليه الأكلة ، غير أن الأعرابى فصل عليه طعامًا أكله من دى قبل ، ثم قصّ قصته . ثم قال له : عبد الملك فمن أنت ؟

قال أنا رجل من أحوالك . سمى عندد ، قال عبدالملك . أولئك من أفصح العرب[2] .

من ذلك نعلم أن العرب لم يكونوا على درجة من البيان ، بل هم فيه مختلفون ، وقد أدرك ذلك أولوا العلم من اللغويين ، والنحويين فميزوا بين الفصيح وغيره مفردًا كان أو مركبا ، من ذلك قول اللغويين (عُنِىَ) بالبناء للمجهول فى اللغة الفصيحة وعليها اقتصر ثعلب فى الفصيح وحكى صاحب اليواقيت الفتح أيضا (عَنِىَ) وهى غير فصيحة[3]

وعكس البناء المجهول تحدثه فى كلمة (شلت) فى قول عاتكة بنت زيد الصحابية تخاطب ابن جرموز قاتِلَ الزبير بن العوام ، زوجها :

شَلَّتْ يمينك إن قتلت لمسلما
حلّت عليك عقوبة المتعمد

قالوا : شَلَّتْ بفتح الشين أفصح من شُلّت[4] .

كما نجد صاحب التاج يعرض لأبواب ولغات الفعل (برأ) فيقول هو مثلث العين فى المضارع : أى أنه يرد من أبواب نصر وضرب وفتح يبرأ ويبرُؤ ويَبْرِئ ، ثم يقول والفتح أفصح أى يبرأ وهو الغالب فى القياس ثم يقول قال ابن القطاع فى الأفعال وهى أى فتح العين فى المضارع لغة أهل الحجاز والكسر لغة تميم ، قاله اليزيدى واللحيانى فى نوادرهما

وأما الضم (برأ يبرُؤ) فقد سماه فى الأصول الصحيحة غير واحد من أئمة اللغة ،

---

(١) عرضت المادة للمبرد ٢ / ٢٥٠ ، والعقد الفريد ٣ / ٣٢٠ ، والمزهر ١ / ١٢٧

(٢) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ٨٥ — ٨٦

(٣) تاج التاج ١ / ٢٠ شرح ديباجة القاموس

(٤) منار الأزهار ١ / ١١٩ ، والمنهج ١ / ١٤٢ ، ومغنى اللبيب تحقيق محيى الدين / ٢٤

قال الزجاج · وقد ردوا ذلك ؛ إذ لم يجئ فيما لامه همزة (فَعَلْتَ أَفعُل) بضم عين المضارع ، وقد استقصى علماءُ اللغة ذلك فلم يجدوه إلّا فى هذا الحرف قال الزبيدى : وكذلك : برا يبرو كدعا يدعو وصرحوا أنه لغة قبيحة ...[1] .

هذا ويكاد يتفق العلماء على أن أفصح لغات العرب ما كانت لقبائلِ وسط الجزيرة دون من كانوا فى أطرافها ، ولهذا كانت لغات القرآن التى نزل بها على لغة أهل الوسط من الجزيره . . وبذلك لم تؤخذ اللغة إلّا عن الذين نزل القرآن بلغتهم وهم قريش ، لأن الرسول ﷺ منهم ، ثم بنو سعد ابن بكر لأنه استرضع فيهم وأقام بينهم ، ثم ثقيفٌ وخزاعةُ وهذيلٌ وكنانةُ ، وأسدٌ وضبةُ ، لقربهم من مكة وترددِهم إليها ، ومن بعدهم فيسٌ وألفافُها الذين كانوا وسط الجزيرة[2] .

يؤكد صحة نزول القرآن الكريم ، بأفصح لغات العرب ما روى أن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال · قدم نافع بن الأزرق الحرورى إلى ابن عباس يسأله عن القرآن فقال ابن عباس . يا نافع ! القرآن كلام الله – عز وجل – خاطب به العرب بلفظها على لسان أفصحها ، فمن زعم أن فى القرآن غير العربية فقد افترى ، قال الله تعالى : « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيرَ ذِى عِوَجٍ » وقال تعالى : « بلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٌ ... إلخ » ما قاله[3] .

فصاحة ما ورد به القرآن الكريم من لغات العرب :

إن ورود أية لغة من لغات العرب منسوبة كانت أو غيرها فى أسلوب القرآن الكريم عامة إنما يزملها قوة ، ويدثرها فصاحة ، وإن كانت تلك اللغة فى نظر النحاة شاذة أو قليلة ، ذلك لأن القرآن الكريم حجة فى العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة كما هو حجة فى الشريعة ، فالقراءة الشاذة التى فقدت شرط التواتر ، لا تقل شأنًا

---

(١) التاج ١ / ٤٤ ، ثم انظر المزهر ١ / ١٣٣ وما بعدها ترجمة من اللغات الرديئة والمذمومة .
(٢) انظر الإشارة إلى الإيجاز فى أنواع المجاز للعز بن عبد السلام / ٢١٤ وما بعدها والمزهر ١ / ١٢٧
(٣) جمهرة شعار العرب لأبى زيد القرشى / ١٠

عن أوثق ما نُقِل إلينا من ألفاظ اللغة ، وأساليبها ، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتفى فيه برواية الاحاد[1] .

من هنا كان الفعل : استحوذ يستحوذ وبابه من الفصيح فى اللغة لقوله تعالى . « اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ . » المجادلة الآية ١٩ ، وقوله . « أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعكُم مِّنَ الْمُؤمِنِينَ » النساء الآية ١٤١ كما جاء المزيد بالهمزة منه على الأصل مخالفًا لقياس النحاة فى قول لبيد يصف حمارًا وأتانا :

إذا اجتمعت وأحوذ جانبيها
وأوردها على عوح طِوَال

وفى الصحاح · (استحوذ) جاء بالواو على أصله ، كما جاء استروح واستصوب. وقال أبو زيد . هذا الباب كله يجوز أن يتكلم به على الأصل ، تقول العرب · استصاب واستصوب واستجاب واستجوب وهو قياس مطرد عندهم .

وقال الزبيدى : استحوذ عليه الشيطان: أى علب ، كما فى الصحاح ،ولغة استحاذ وتالك قد أشار إليها أبو زيد قبل .

وفى المحكم · قال النحويون : (استحوذ) خرج على أصله ، فمن قال . حاذ يحوذ لم يقل إلّا . استحاد ، ومن قال : أحوذ فأخرجه على الأصل ، قال · استحوذ ، وهو من الأفعال الواردة على الأصل شذوذًا مع فصاحتها ، وورود القرآن بها[2] .

وكذلك الأمر فى لغة هذيل حيث رفعوا المستثنى فى الإيجاب ، بحر قولهم . قام القوم إلّا زيدٌ برفع زيد وذلك لورود القرآن الكريم بها ، قرأ عبد الله والأعمش وأُبَىّ قوله . « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيلٌ » بالرفع مع أن القياس وجوب النصب فى لغة الجمهور

وقد خرجوا على هذه اللغة ما رواه الدارقطنى من قوله عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة — إلّا امرأة أو مسافر أو عبد أو مريض » برفع ما بعد إلّا بعد الموجب ، وحديث :

---

(١) انظر أسلوب القرآن الكريم للشيخ عضيمة ١ / ٢
(٢) انظر الصحاح ثم التاج مادة (حاد) وشرح الشافية ٣ / ٩٦ ، ٩٧

« كلكم مُعافَى إلَّا المجاهرون » ، وما ورد في صحيح البخارى · « فلما تفرقوا أحرموا كلهم إلَّا أبو قتادة » برفع أبو بعد إلَّا . والقياس فى كل أولئك النصب

وفى حاشية يس على التصريح قال . وظاهر كلام ابن مالك أن ذلك (أى الرفع) جائز فى لغة الجمهور ، فإنه قال : قال أبو الحسن بن عصفور · فإن كان الكلام الذى قبل إلَّا موجبًا جاز فى الاسم الواقع بعد إلّا وجهان · أفصحهما النصب على الاستثناء ، والآخر أن تجعله مع إلَّا تابعًا للاسم الذى قبله ، فتقول · قام القوم إلا زيدًا بنصبه ورفعه ، وعليه يحمل قوله « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيل » بالرفع[1]

ويظهر لنا من قول ابن عصفور السابق أن رفع (قليل) فى الآيه فصيح مع كونه شاذا فى القياس ، وهنا يبدو لنا أيضا أن الرفع بعد الإيجاب فصيح والنصب أفصح ، أما الرفع والنصب بعد الكلام التام المنفى فى نحو · ما قام القوم إلَّا زيدٌ وإلَّا زيدًا فمتساويان فى الفصاحة .

هذا وللنحاة فى تخريج رفع (قليل)[1] أنه لم يحفظ الإتباع بعد الموجب فتأوله .

فى قول (فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيل)تخريجات عده أهمها مذهبان :

الأول : حمل الإيجاب على النفى وهو مذهب الزمخشرى حيث قال · وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ حائدًا وهو باب جليل من علم العربية ، فلما كان معنى . (فَشَرِبُوا مِنْهُ) فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل ، فلم يطيعوه إلَّا قليل منهم . والمعنى : أن هذا الموجب الذى هو (فَشَرِبُوا مِنْهُ) فى معنى النفى ، كأنه قيل فلم يطيعوه ، فارتفع قليل على هذا المعنى ، وإن لم يلحظ فيه معنى النفى لم يكن ليرتفع ما بعد إلَّا .

وعلى ما ذهب إليه الزمخشرى يكون الرفع قياسًا لأنه بعد كلام تام منفى ، وهذا من جار الله انتصار للقاعده ومحل اتفاق بين الجمهور وبينه .

قال أبو حيان . وما ذهب إليه الزمخشرى من أنه ارتفع ما بعد إلَّا فى قوله · « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيل » على التأويل هنا دليل على أنه لم يحفظ الإتباع بعد الموجب فتأوله .

---

(١) انظر حاشية يس على التصريح ١ / ٣٤٨ وما بعدها .

الثانى · أن الرفع بعد الإيجاب لغة ، وقد عـزاها الجوهرى لهذيل عند قول أبى خراش الهذلى ·

أمسى سَقَامُ[1] خلاءً لَا أنيس به
إلَّا السباعُ ومرُّ الريح بالغُرف

ويروى إلّا (التمامُ) قال أبو عبيدة · الهذلى يرفع ألَّا التمامُ ، وغيره ينصبه ، وفى اللسان ويروى إلّا التمام ، وأبو عمرو يرفع (التمام) وغيره ينصبه

وقال أبو حيان ما قاله ابن عصفور من قبل وهو : إذا تقدم موجب حازفى الذى بعد إلَّا وجهان . أحدهما النصب على ـ الاستثناء وهو الأفصح والثانى . أن يكون ما بعد إلَّا تابعًا لإعراب المستثنى منه ، إن رفعا فرفع ، أو نصبا فنصب ، أو جرًا فجر ، فتقول :

قال القوم إلَّا زيدٌ ـ ورأيت القوم إلَّا زيدًا ـ ومررت بالقوم إلَّا زيدٍ . وسواء أكان ما قبل إلَّا (يعنى المستثنى منه) مظهرا كما فى الامثلة أو مضمرًا ، أى كما فى الآية .

ومما جاء من الشعر على لغة الرفع بعد الموجب قول الشاعر ·

وكل أخٍ مُفَـارقه أخر
لعمر أبيك إلَّا الفرقدان

برفع الفرقدان ، وكان القياس أن ، ينصبه بالياء دون كسر للبيت ولا ضرورة تدعو إليه ، ويمكن لنا حمله على لغة من يلزم المثنى الألف ، فيكون مَنصوبًا بالفتحة المقدرة عليها[2] .

وبعد

فإن قراءة الرفع فى (قليل) من قوله « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيل » بعد الكلام الموجب فصيحه ، لأن لها وجهًا ظاهرًا حسنًا فى العربية على كلا المذهبين .

والزمخشرى قد تأول الإيجاب فى (فَشَرِبُوا) على معنى النفى لدلالة السياق عليه ، والتقدير · فلم يطيعوه إلَّا قليل ، ومتى

---

(١) سقام · اسم واد .

(٢) انظر الصحاح للجوهرى ماده (سقم) والبحر ٢ / ٢٦٦ ، ودراسات فى أسلوب القرآن الكريم للشيخ عضيمة ١ / ١٥٢ وما بعدها ، والهمع ٢ / ٢٢٥ ، ومغنى اللبيب بتحقيق الشيخ محيى الدين / ٤٢٧ ؛

كان الكلام تامًّا منفيًّا فإنه يجوز فيما بعد إلَّا النصب والرفع على السواء ، نحو · ما قام القوم إلَّا زيدًا ، وإلَّا زيدٌ بالنصب على الاستثناء ، والرفع على الإتباع ، وقد احتج للإيجـاب الذى يجىءُ بمعنى النفى بقول الفرزدق ·

وعض زمان يابن مروان لم يدع
من المال إلَّا مسحتا أومحلف

إذ التقدير · لم يبق من المال إلَّا مسحت أو مجلف .

ووجهها على ما ذهب إليه الفراءُ . وابن عصفور وابن مالك ثم أبو حيان وغيرهم أن الإيجاب باق على حاله ، وأن المرفوع بعد إلَّا مبتدأ خبره إما محذوف كما فى الآية إذ التقدير : إلَّا قليل لم يشربوا ، والمبتدأ وخبره فى محل نصب على الاستثناء ، وإما مذكور فى الكلام نحو قول ابن أبى قتادة : « كلهم أحرموا إلَّا أبو قتادة لم يحرم » ، فالجملة من المبتدأ والخبر فى محل نصب على الاستثناء[1] وجملة الاستثناء تلك مما فات المتقدمين ، وقد استدركها عليهم ابن هشام ، وهى مما تركه الأوائل للأواخر .

هذا ومن غريب الإعراب فى باب الاستثناء ما ذهب إليه فريق من النحاة من أنه يجوز فى الاستثناء المفرغ نصب ما بعد إلَّا نحو ما زيدٌ إلَّا قائمًا .

قال ابن هشام . اختلفوا فى الخبر المقرون بإلَّا بعد (ما) على أربعة أقوال ·

أحدها : وجوب الرفع مطلقًا ، وهو قول الجمهور نحو . ما محمد إلَّا رسولٌ ، ووجهه أنها عملت لشبهها بليس فى النفى ، وقد انتقض بإلَّا فزال الأمر الذى عملت من أجله .

الثانى · مذهب ابن يونس جواز النصب مطلقًا ، ووجهه الحمل على ليس .

الثالث : مذهب الفراء ، وهو جواز النصب بشرط كون الخبر وصفًا فيجيز : ما زيد إلَّا قائمًا ، ويمنع · ما زيد إلَّا أخاك .

---

(١) انظر التصريح بحاشية يس ١ / ٣٤٨ وما بعدها والبحر ٢ / ٢٦٦

الرابع : مذهب جمهور الكوفيين جواز النصب بشرط كون الخبر مشبهًا به ، فيجيزون . ما زيد إلَّا رهيرًا ، ويمنون : ما زيد إلَّا قائمًا .

وعلى الآراءُ الثلاثة الأحيرة أجاروا نصب (أغنَّ) فى قول كعب بن زهير :

وما سعاد غداة البَيْن إذ رحلوا
إلَّا أغنَّ غضيض الطرف مكحول[1]

والقياس الرفع على الأشهر .

وأود أن أشير إلى أنه إذا كانت للعرب لغتان فى شىء ما إحداهما فصيحة شائعة والأُخرى غير شائعة ، فإن القرآن الكريم قد نزل بالشائعة دون غيرها كورود (ذو) بمعنى صاحب فيه ، ولم ترد (ذو) الطائية التى بمعى الذى .

وإذا وردت لعتان فصيحتان لظاهرة ما إلَّا أن إحداهما كثيرة والأُخرى قليلة ، فإن الأُسلوب القرآنىَّ قد ورد بهما معًا مشيرًا إلى الكثيرة بكثرة استعمالها وإلى القلياة بقلة استعمالها وذلك مثل لغة إلزام المثنى الألف ، وإلزام جمع المذكر السالم الواو أو الياء ، وقد وفيت ذلك حقه من القول فى جمع المذكر السالم دراسة ونقدًا . كما أنه إدا كانت لبعض المركبات عدةُ استعمالات فإن الأسلوب القرآنىّ قد جاء بأفصحها وترك الذى دونه ، من ذلك إضافة المثنى إلى المثنى فقد استعملته العرب على لعات ثلاث :

الأُولى · جمع المضاف مع تثنية المضاف إليه نحو : حيا الله وجوهكما ، وهذه هى اللغة العالية ، وبها ورد القرآن الكريم فى قوله « فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا » (التحريم الآية ٤) ، وقوله · « قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا » (الأعراف/ ٢٣) ، وقوله « فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا » (المائده / ٣٨) .

الثانية : تثنية كل من المضاف والمضاف إليه ، نحو : ضربت رأسى الرجلين ، وعلى هذه اللغة جاء قول الفرزدق :

* بما فى فؤادَيْنَا من الشوق والهوى *
فتخالسا نفسيهما بنوافذ
كنوافذ العُبُطِ التى لا ترقع

وقول أبى ذؤيب الهذلى :

---

(١) انظر شرح بانت سعاد لابن هشام / ١٦

وبالغتين ورد قول همیان بن أبی قحافة

ومهمهين قذفين مرتين
ظهراهما مثلُ ظهور الترسين

فثنى فى (ظهراهما) وجمع فى (ظهور) الثالثة . وهى دون الأُولى والثانية إفراد المضاف نحو ضربت رأس الرجليس وشققت بطن الحمليس ، وعليها أنتدوا قول الشاعر ..

كأن وجه تركيين قد عصبا
مستهدفين لطعن غير تدبيب

هذا والنحاة فى تخريج الأُولى والثالثة مذهبان :

الأول : أنهم استعنوا بالجمع وبالمفرد عن المثنى : أى أنهما نابا عن المثنى ، وهذه تثنية معنوية ذكره ابن الشجرى .

الثانى : أن الجمع والمفرد قد اكتسبا التثنية من المضاف إليه[1] .

وبعد هذه الديباجة أعود إلى ما نحن بسبيل بيانه من مظاهر اختلاف اللسان العربى فى لغات القبائل ، العربية ، هذه المظاهر أراها تتفق ووجوه القراءات فى القرآن الكريم وقد أشار السيوطى إلى بعضها[2] وها هى على وجه الإجمال . اختلافات فى الإعراب والإستعمال ، والصيغ ، والفك والإدغام والتذكير والتانيث ، والمد والقصر والإعلال والإبدال والقلب ، والنقص والإتمام ، والحركات وبالحركة والسكون ، والتثقيل والتخفيف والإسناد ، والإعمال والإهمال والترداف والأشتراك والتضاد ، وتعدى الفعل ولزومه ونيابة الحروف بعضها عن بعض ، والهمز والتليين والجموع والمصادر . الخ .

هذا — ولايفوتنى هنا أن أذكر أن كل لون من هذه الاختلافات جدير بدراسته دراسة وافية ، غير أنه يكفينى ها الإشارة إلى بعضها وحسبى أنى بين علماء فطناء يكتفون بالإسارة عن العبارة وبالتلميح عن التصريح .

الاختلاف فى الإعراب .

هذا المظهر يتناول البحث فيه نوعى المعربات : الأسماء منها والأفعال .

---

(١) انظر الأمالى الشجرية ١ / ١١ وما بعدها ، والهمع ١ / ٥٠ وما بعدها ، والدرر ١ / ٢٥ وما بعدها وإعراب الحديث للكبرى / ١٢٧

(٢) انظر المزهر للسيوطى ١ / ١٥٢ وما بعدها .

أولًا · الأسماء :

إن من يسعم النظر فى الكلام العربى ـ نثره وشعره ، يتبدى له بعض الأحيان مايوهم إهمال الإعراب فى الفصحى بل والاضطراب فى أصولها وقواعدها ، فيتخذُ من ذلك سلاحًا للطعن على النحاة ، ومعولًا يهدم به أصولهم بالتشكيك فيها تارة . والدعوة إلى الميل أو الإعراض عنها . والتسفير منها تارة أخرى ، ثم تراه بعدُ يدعو إلى الحكم بما عَنَّ له من مثال أومثالين من النوادر على الأكثر والأشيع ، وهذا ـ لعمرى ـ فى القياس عريب ، فأنى لعاقل أن يحكم بما القليل على الكثير أو الأكثر ، بينما العكس هوُ الحق والمطق البيِّن ، والأول هو الباطل السهلل .

لقد فطن أولو العلم من النحاة قبلنا إلى تلك اللغات التى خالفت فى ظاهرها اللغة العالية ، فوجدوا أن أكثر ممَّا تستعمل فيه الشعر ، فوسموها بالشذوذ والندرة والقلة ، أو أنها لثغة أو لعية بالتصغير تقليلًا من شأنها .

من هنا نلمس أن أكثر لغات القبائل إنما يدور فى فلك الفصحى وهى التى بنى النحاة عليها أصولهم ومقاييسهم . ومنها ينطلق المحققون من العلماء . وبها ينتقد الفصحاء أما ما دونها فيستوى فيه الماء والحنطة . ولا يشيع إلَّا على ألسنة العامة والجهلة .

لذلك يحق لنا أن نجزم بأن قواعد النحاة ـ ولا سيما أهل القياس ـ لم تسن إلَّا على الفصيح والأفصح . أما القليل . والنادر من لغاتهم فليس بشىء يعول عليه .

من ذلك ما ورد فى حذف حركة الإعراب من الاسم المفرد فى بعض الشواهد وصلًا ووقفًا أما وصلًا فنحو قول الأقيشر اس عبد الله الأسدى .

تقــول يا شيخ أما تستحى
من شربك الراحَ على المكسر

فقلت لو باكرتِ مشمولة
صفْرا كلون الفرس الأشقر

رحتِ وفى رحليك ما فيهما
وقد بدا هَنْكِ من المئزر

والقياس هَنُك بضم النون لأنه فاعل بدا ، وقد عد سيبويه حذف حركة الإعراب

من (هن) ضرورة[1] ، وظاهر كلام السيوطى أنه لغة ، وسوف استوفى الكلام عليها بعدُ عند إعراب الفعل الصحيح الآخر .

أما وقفًا ، فبينما جمهور العرب يقفون على المنصوب المنون بتحويل تنوينه ألفًا نحو . رأيت حسينًا ، إذ ربيعة تقف عليه بالسكون قيامًا على المرفوع والمجرور نحو : رأيت حسينْ واجتحوا اللغة ربيعة هذه بقول الأعشى ممدون يمدح قيس بن معدى كرب :

إلى المرء قيس أطيل السُّرى
وآخذ من كل قبياة عُصُمْ

وكان من حق الفصحى أن يقول : عُصُمَا ، لأنه مفعولُ (آخذ) كما تقف عليه — بالروم — أيضًا — وهو إخفاء الصوت — بالحركة .

وقد استعمل ابن مالك لغة ربيعة في مطومته ، فسكن (عمل) في قوله :

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل
قبل فللواحد منهما العمل[2]

(فعمل) مفعول به لاقتضى المحذوف بعد (إن) والذى فاعله (عاملان) ، وقد وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة[3] .

كما جاء على لغة ربيعة من المنقوص المنون نصبًا قول امرئ القيس يصف ناقته :

تحدى على العلات سام رأسها
روعاء منسمها دامى
جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى
إنى امرؤ صرعى عليك حرام

---

(١) انظر الدرر ١ / ٣٢ ، والهمع ١ / ٥٤ والمحتسب ١ / ١١٠ والكتاب ٢ / ٢٩٧ ، والخصائص ١ / ٧٤ ، ٣ / ٩٥

(٢) الألفية / ٢٥ باب التنازع .

(٣) انظر التبصرة والتذكرة للصيمرى ٢ / ٧١٨ ، وشرح الكافية للرضى ١ / ٢٩٥ ، وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٤٨ ، ٢٦١ ، وشرح الشافية للرضى ٢ / ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٣١٦ ، وشواهد الشافية / ١٩١ ، ١٩٨ ، والدرر ٢ / ٨٥ ، ٨٦ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، والتصريح بحاشية يس ٢ / ٣٣٨ ، وشرح ابن عقيل بحاشية الخضرى ١ / ١٢٨ ، وشرح الشافية ١ / ١٧٦ ، ١٧٧ حاشية عبادة على الشذور ١/٥٢، ٩٠

قال ابن الشجرى فسامٍ فى موضع نصب على الحال ولكنه أمكنه ضرورة ، كقول بشر بن أبى خازم الأسدى

كفى بالنأى من أسماء كافى
وليس لحبها إن طال شافى

والأصل فيهما . ساميًا وكافيًا ، وقال البغدادى فى تخريج بيت بشر : إن الوقف عليه بالسكون لغة .

ومن ذلك أيضًا ما أنشده سيبويه لبعض السعديين :

* يا دارَ هندٍ عفت إلَّا أثافيها[1] *

والأصل : إلَّا أثافِيها بفتح الياء ، لأنه استثناء ، وحق يائها النصب ، ولكن قائل هذا يفعل بالمنقوص نصبًا ما يفعله بالمرفوع والمجرور من حذف الحركات ، وكقول الشاعر :

وكسوتِ عارِى لحمِهِ فتركتِهِ
جذِلا يُسحِّب ذيلَه ورداءه

قال أبو حيان فى شرح التسهيل وتقدير الفتحة فى منصوب هذا المنقوص من القرائن الخمس عند جمهور النحاة ، وزعم أبو حاتم أن ذلك لغةٌ فصيحةٌ ، ومنه — أيضًا — قول الآخر

ولو أن واشٍ باليمامة داره
ودارى بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

وكان من حق اللغة العالية أن يقول الشاعر (واشيًا) لأنه اسم (إنَّ) إلا أنه أجرى المنصوب مجرى المرفوع والمجرور على لغة ربيعة ، وعلى هذه اللغة خرج النحاة قراءة بعضهم قوله تعالى . « مِن أوْسطِ مَا تُطْعِمُونَ أهْالِيكُمْ » (المائدة / ٨٩) ، بإسكان الياء ، والقياس فَتْحُها[2] .

أما أزد السراة أو أُردُ شنوءة فإنهم يقفون على المنون المرفوع والمجرور بإبدال

---

(١) ويحتمل تسكين ياء أثافيها عندى أنها بدل من الفاعل على لغة هذيل على حد قراءة قوله « فشربوا منه إلا قليل » حيث يرفعون المستثنى فى الإيجاب

(٢) انظر الهمع ١ / ٥٣ ، والدرر ١ / ٢٩ ، ١٢٩ ، وشرح الشافية للرضى ٢ / ٣٠١ وخزانة الأدب للبغدادى ٢ / ٢٦١ ، والأمالى لابن الشجرى ١ / ٢٧ ، ومجالس ابن الشجرى ٢ / ٢٦ ، وشواهد الشافية للبغدادى ٧٠ ، وضرائر الشعر للقزاز القيروانى / ١٣٩ ، والكتاب لسيبويه ٢ / ١٥٥ ، والخصائص لابن جنى ١ / ٣٠٧

تسويسهما واوًا فى المرفوع وياء فى المجرور قياسًا على المنصوب عند جمهور العرب . فيقولون : هذا زيدو ، ومررت بزيدى ، قياسًا على قول الجمهور : رأيت زيدًا[1] .

هذا — ويجرى جمع التكسير فى الوقف عليه عند ربيعة وأزد السراة مجرى المفرد فيقال . رأيت رجالْ على لغة ربيعة وقفًا ، وهؤلاء رجالو ، ومررت برجالى عند أزد السراة .

وربما يزعم من لا دراية له بأسرار العربية وفنونها وطرائقها أن الإعراب لم يك ظاهرة عامةً فى كل قبائل العرب . منطلقًا فى ذلك من وقوف ربيعة على المنصوب المنون بالسكون — كما بينت — ويدفع هذا الزعم الذى لا يعبأ به ولا تعول عليه فى نظام العربية . بأن ربيعة كانت معروفة كغيرها من قبائل العرب ، وأن الذى حدث فى لغتها ، وبررت به على غيرها من أخواتها إنما يختص بحال الوقف لا غير ، إذ المعتمد عليه فى كلام العرب الوصل فهو الذى عليه يقل الكلام واستمراره . وفيه تصح وجوهه ومقاييسه بخلاف البدء والوقف ، كما أن تسكين ربيعة لم يك شائعًا فى أكل العرب أو فى حل كلامهم فهو قليل أو أقل من القليل وخاص بحال غير عام فى الكلام والأخذ فى هذه اللغة إنما هو بالأكثر استعمالًا .

كما أن الوقف باب يكثر فيه التغيير ، ويقع فيه ما يقع فى الفواصل والقوافى ، والضرائر من الحذف والزيادة والهمز ، والتليين والتخفيف والتشديد والنقل . والإبدال والروم والإشمام والاختلاس... إلخ والعرب فيه توسّع وتلعب بما لا ينضبط والأصول اللغوية ، ولا يندرج تحت قاعده مشهورة من قواعد اللغويين ، إذ يباح فى الوقف مالا يباح فى الوصل ، وعليه فلا يجوز — قياس وقوف العرب على وصولها !!!

فضلا على ذلك أنه كان لربيعة نوع من القياس المقبول حيث حملت المنصوب على المرفوع والمجرور المنونين حال الوقف عليهما عند جمهور العرب ، وكذلك أزد السراة — أيضا — حملتهما حملا طريفا على المنصوب المنون عند

---

(١) انظر الكتاب ٢ / ١٥٥ والتبصرة والتذكرة للصيمرى ١ / ٤٣٥ ، ٢ / ٧١٨ ، وشرح الشافية ٢ / ٢١٤ ، ٢٨٠ والتصريح حاشية يس ٢ / ٣٢٨

الجمهور ، فحولت التنوين واوا فى نحو هذا زيدو ، وياء فى نحو : مررت بزيدى ، وكلا ذلك له وجه مقبول ، ولايقدح فى المشهور .

ويحتمل عندى أن تكون أرد السراة حذفت التنوين رفعا وجرا كما هو مذهب جمهور العرب ، إلا أنها مطلت الضمة فتولد عنها الواو ، ومطلت الكسرة فتولد عنها الياء كقول الشاعر .

* حوثما سلكوا أدنو فأنظور *

أراد فانظر ، وقول الآخر .

* سقيت العيث أيتها الخيامو *

أراد : الحيام ، وقراءة بعضهم «ملكى يوم الدين» وعليه تكون أرد السراة من القبائل التى تمطل الحركات ، أى تشبعها فيتولد عنها حرف العلة .

أما مظاهر الاختلاف الأخرى فكثيرة — كما أشرت سلفا — غير أنى أكتفى بضرب مثال لكل منها — بحيث يسر لنا من خلاله وجه الخلاف بين قبيل وقبيل وها هى على النحو التالى .

أولا : الإبدال أو التعاقب فى الأصوات:

فمثلا الفعل لسقَ به والتسق ، ورد فى عينه السين والصاد والراى على التعاقب أو الإبدال لكونها أخوات فى الصفير فيقال فيه لسق به والتسق ، ولَصق به والتصق ، ولزق به والترق ، فالزاى لربيعة والسين لقيس ، والصاد لتميم ، والراى أقحمها[1] .

وروى عن الأصمعى قال اختلف رجلان فى الصقر . فقال أحدهما الصقر بالصاد . وقال الآخر السقر بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما . فحكيا له ماهما فيه ، فقال لا أقول كما قلتما ، إنما أقول الزقر . قال ابن جنى أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة . كيف آفاد فى هذه الحال إلى لغته بحيث يسر لغتين أخريين معها[2] وهذا يدلنا

---

(١) انظر التاج ٧ / ٦١

(٢) الخصائص ١ / ٣٧٤ ، والاقتراح للسيوطى / ٦٨

على أن اختلاف الأصوات فى الكلمة الواحدة من تعدد اللغات والواضعين .

ومثل ما تقدم الصراط ، وأصله بالسين من السرط ، وهو اللقم ، والصاد هى الفصحى وهى لغة قريش وبها قرأ الجمهور ، والزراط بالزاى لغة رواها الأصمعى عن أبى عمرو ، وإشمامها زايا لغة قيس ، وقال أبو على روى عن أبى عمرو السين والصاد والمضارعة بين الزاى والصاد . . . [1]

والإبدال من الأبواب التى توسعت فيها العرب ، وكثرت فيها اللغات ، من ذلك تصرفهم فى الحروف المضعفة على النحو التالى :

أولا : تحويلهم أول المضعف حرف علة نحو (إيما) فى (إمَّا) العاطفة نحو قول الشاعر :

لاتفسدوا آبالكم إيما لنا إيمالكم

وفى كل ماجاء من الأسماء على وزن (فِعَال) بكسر الفاء غير مختوم بالهاء نحو : ديماس (الكنّ والحمام) وديباج (ما يتخذ من الإبريسم) وديسار وقيراط وشيرار . . . إلخ .

قال الرضى : وهذا الإبدال قياس ؛ إذ لايجىء (فِعَّال) غير المصدر إلا وأول حرفى تضعيفه مبدل ياء ؛ فرقا بين الاسم والمصدر ، ولا يبدل فى المصدر فى نحو (كذَّب كِذَّابا) .

أما إذا كان الاسم مختوما بالهاء ، فلا يبدل أول مضعفه لأمن اللبس نحو : الصِّنَّارة . (شجرة تعظم وتتسع) ، والدِّمَّامة : (القصير من كل شىء) فلا يجوز أن يقال فيهما : صينارة ، ولا دينامة [2]

ثانيا : تحويل ثانى المضعف حرف علة مع بقاء صيغة الفعل الأصلية نحو (أمَلَّ) فهو بتضعيف العين واللام فى لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، ومنه فى التنزيل نحو قوله : « وليملل الذى عليه الحق . . . فليملل وليه بالعدل .. » (البقرة ٢٨٢) ومصدره إملال ، وتميم

(١) البحر ١ / ٢٥ ، والقرطبى ١ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، وشرح الشافية ٣ / ٢٣٣ ، وعريب الحديث للخطابى ١ / ٣٨٣ ، والاقتراح للسيوطى / ٦٨ ، وحجة القراءات لأبى زرعة / ٨٠ ، وأدب الكاتب / ٣٧٦

(٢) انظر شرح الشافية للرضى ٣ (٢١٠ ، ٢١١

تبدل اللام حرف علة فيقولون (أملى) ومنه فى القرآن الكريم قوله «فهى تملى عليه بكرة وأصيلا» (الفرقان ٥) والمصدر إملاء ؛ وصيغه الفعل قبل الإبدال وبعده على اللغتين واحدة وهى (أفعل)[1]

ثالثا ماورد فيه ثلاثة أحرف من جنس واحد وكان على (فَعَّل أو تفَعَّل) وللعرب فيهما حالان

الأولى : تحويل فى الصوت دون الصيغة نحو (دسى) من قوله تعالى «وقد خاب من دساها» (الشمس ١٠). و (يتمطى) فى قوله «ثم ذهب إلى أهله يتمطى» (القيامة ٣٣) والأصل فيهما دسس . ويتمطط فحول الحرف الثالث حرف علة كراهة توالى الأمثال ، ومنه قول الشاعر

وأنت الذى دسيت عمرا فأصبحت
حلائله منه أرامل ضيَّعا

قال أهل اللغة والإصل دسس من التدسيس ، وهو إخفاء الشىء فى الشىء ؛ فأبدلت سينه ياء . كما يقال : قَصَّيتُ أظفارى ، وأصله قصّصْت أظفارى ، ومثله قولهم فى تقضض تقضّى . ومنه قول العجاج

إذا الكرام ابتدروا الباع بدر
تقضّىَ البازى إذا البازى كسر

أراد تَقَضْقَضَ[2] وهما بحد الصيغة واحده قبل الإبدال وبعده . إذ كل من دسس ودَسَّى على ورد (فَعَّل) . وكل من يتمطط ويتمطى على ورد (تفعّل يتمعّل)

الثانية تحويل فى الصيغة تبعا لتحويل ثانى المضعف حرفا صحيحا من جنس أول كلمته . ومنه قول علقمة

تحتسحتن أبدان الحديد عليهم
كما حتحشت سفّ الحصاد حمت

---

(١) انظر القرطبى ٣ / ٣٨٥ ، ١٣ / ٣ ، والنوادر ٤٠ / ٤٥ ، وأدب الكتاب / ٣٧٦ ، والمسان مادة (ملل)

(٢) انظر القرطبى ٢٠ / ٧٧ ، والبحر ٨ / ٤٧٧ - وأدب الكتاب / ٣٧٦ واللسان مادة (دس) ، ومعانى القرآن للفراء ٣ / ٢٦٧

وأصله · تختخش ، (وزن تَمَعَّل ، فتحول إلى تختخش على وزن تفعلل) وهو خضخض فى قول الآخر .

وخضخض فيما البحرَ حتى قطعنه
على كل حالٍ من عُمارٍ ومن وَحْلِ

ومثلهما قَصَّضَ وتقصقص فى الحديث «أنه لما خرج إلى أحد ، حعل نساءه فى أطم ، قالت صفية بنت عبد المطلب : فأطلَّ علينا يهوديّ ، فقمت إليه ، فضربت رأسه بالسيف ، ثم رميت به عليهم فتقصقصوا . الحديث » من القَصِّ ، وهو كسر الشيء ، وتمريق أحزائه ، ومعناته · تمرقوا[1] .

وبهذا يتبين لنا أن العرب حولت فَعَّل إلى فعال ، وتَمَعَّل إلى تفعلل .

ثانيا : الاختلاف بالتصحيح والإعلال .

فبينما نجد أهل العالية يقولون (قصوى) دون إعلال الواو ياء فى (فُعْلَى) صفة استصحبا باللاصل ، إذا أهل نجد يقولون فيها (قصيا) بإعلال الواو ياء للتخفيف حيث احتمع عليها التقيلان الصمة على الفاء وكون اللام واوا زيادة على كونها صفة ، والصفة أثقل من الاسم[2] وباللاتين ورد القرآن الكريم فى قوله « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » الأنفال / ٤٢

فالدنيا أُعِلَّت لامها ياء على لغة أهل نجد حيث أصلها (دُنْوَى) . و (قصوى) جاءت على الأصل فى لغة أهل العالية ، إلا أن قصيا أفصح من قصوى ، ومن هنا يتبين لنا أن القرآن الكريم قد جاء مشتملا على الأفصح والفصيح من لغات العرب . وقصوى عند سيبويه شاذة قياسا واستعمالا ، وعند الأخفش قياس .

ومن ذلك الفصيح الذى خالف قواعد النحاة ،وقد ورد فى الأسلوب القرآنى ، الفعل (استحوذ) فى قوله « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . . . » المجادله / ١٩ ، ومضارعه يستحود فى

---

(١) انظر عربى الحديث للخطابى ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، وأدب الكاتب / ٤٠٠ ، ٤٢٢

(٢) انظر المشوف المعلم للمكبرى / ٦٤٢ ، وشرح شواهد الشافية / ٣٨٣

قوله « قالوا ألم نستحوذ عليكم » النساء / ١٤١

فاستحود يستحود قياسها ا على لغة عامة العرب · استحاذ يستحيذ كاستقام يستقيم إلا أنه جاء على الأصل مع فصاحته ، إلى عير دلك مما خالف القياس وفصح فى الاستعمال ، ومثل هذه اللغات التى ، لولا نزول القرآن الكريم بها لافتقدناها من لغات العرب ، ولأصحت فى عداد المهجور والمتروك من اللغات ، وذلك بسبب تحكمات أهل القياس .

أكثر أهل الحجاز ، ولاسيما قريش ، روى عن أمير المؤمنين علىّ – رضى الله عنه – «نزل القرآن بلسان قريش ، وليسوا بأصحاب نبر . (أى همز) ، ولولا أن جبريل أنزل بالهمزة على النبى –صلى الله عليه وسلم– ماهمزنا » وحققها غيرهم ، والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف والتخفيف استحسان .

أو التليين قول زيد س عمرو بن نفيل القرشى العدوى ·

سالتانى الطلاق إد رأتانى
قل مالى قد جئتما بنكر

أراد . سألتانى فخفف الهمزة بإبدالها ألفًا (١)

عير أنه قيل لإبراهيم بن هرمة القرشى– (وهو آخر من يحتج بكلامه من الإسلاميين) – : إن قريشا لاتهمز فقال : لأقولن قصيدة أهمرها بلسان قريش ، وهده القصيدة مطلعها

إن سليمى ، والله يكلؤها
ؤصنت بشىء ما كان يررؤها

فهدا لايطعن فى حديث (علىّ)السابق فإن العربى كان يجمع إلى لغته لغتين أو ثلاثا .

ثالثا . احتلاف لغاتهم بالهمز والتلتيس أو التسهيل :

من ذلك الفعل (بدأ)فقد دكر الزبيدى ومن شعر قريش الذى بدا فيه التخفيف له ثلاثة مصادر . (البدء ، والبدأة

---

(١) شرح الشافية للرضى ٣ / ٣٢ ، المحتسب لابن جنى ١ / ٩٠

امدءة) ، الأخيرة مثلثة الماء ممدودة . وفيها (الداهة) على البدل كما أبدلت الهاء همزه فى ماء على التقارص . وأمّا البداية بإبدال الهمزة ياء فقد قال ابن القطاع هى لغة أنصارية من (بدأت بالشىء وبديت به) . أى قدمته . وأنشد قول ابن رواحه .

باسم الإله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا[1]

ومن لغتهم أيضا (بَدِى) كـ (بَقِى) لغة أنصارية ، وهذا يدل على أن الأنصار كغيرهم من أهل الحجاز كانوا يسهلون الهمز . (أى لايبدرون) إلا قليلا . يوضح لما ذلك قول حسان بن ثابت — فى وفد هذيل إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يطلبون إباحة الماشية — .

سألت هذيل رسول الله فاحشه
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

سألوا رسولهم ماليس معطيهم
حتى الممات وكانوا سُنَّةَ العرب

وان ترى لهذيل داعيا أبدا
يدعو لمكرمة عن منزل الحرب

لقد أرادوا حلال الفحش وبحهم
وأن يحلوا حراما كان فى الكتب[2]

وقد ألان الهمزة بإبدالها ألفا فى (سالت . وسالوا)

قال الرضى اعلم أن الهمزه لما كانت أدخل الحروف فى الحلق ولها بُعد . (أى صوت مرتفع) كرهه تحرى مجرى التهوع . (أى تكلف القىء) تثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها . فحققها قوم . وهم كما صرح بذلك ابن جنى فى باب تداخل اللغات[3] أو أن قريشا كانت لاتَهْمز فنزل القرآن بها ، فلما نزل جبريل بالهمز عَلَى

(١) يعنى أن أهل الحجاز لا يهمزون الا قليلا مما نسب إلى هذيل من توصيت فى توصأ . وقوله الذى ش الذى إلا أنه يمكن لنا أن نخرج (بدينا) بإبدال الهمزة ياء لمشاكلة (سقينا)

(٢) انظر اللسان (ب ل) ، ديوان حسان / ٢٦٣ ضرائر الشعر للقيروانى / ٢٠٥ شرح الشافيه ٣ / ٢٤٨ ، شرح شواهد الشافيه / ٣٣٩ وما بعدها

(٣) انظر الخصائص ١ / ٣٧٤

النبيّ عليه السلام تعلموه، حيث يسر الله كتابه لعباده كما قال «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» القمر / ١٧ .

ويدل على أن ابن هَرْمَةَ قد نطق بغير لغة قومه ماذكره صاحب المصباح من لغة قريش في الفعل (كلأه يكلؤه) فإن قريشا تقول كَلِيتهُ أكلاه بغير همز من باب تعب[1]

كما أن أهل الحجاز كان لهم تحقيق لبعض الهمزات . قال سيبويه واعلم أن الهمزة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز إلخ[2]

وهذا يدل دلالة واضحة على أن أهل الحجاز كان لهم تحقيق بعض الأحيان

رابعا الاختلاف في المصادر

يقول السيوطي والمصادر كثيرة التصاريف جدا . وأمثلتها كثيرة مختلفة وقياسها عامض . وعللها خفية . والمتشوف عنها قليلون . والعثور عليها معدوم . فلذلك يزعم أهل اللغة أنها تأتي على غير قياس . لأنهم لم يَضْبِطوا قياسها . ولم يقفوا على غُورها[3]

وأود أن اذكر هنا أن المصادر تلعب دورا خطيرا في بيان باب الفعل أو معناه .

من الأول الفعل (هلك) فقد وردت له مصادر ثلاثة هي . هَلْكٌ . وهلاكٌ وهُلُوك . فالأول منها (هلْك) بسكون اللام يدل على أن فعله من باب ضرب يقال هَلَك يَهْلك هَلْكا كما يقال ضرب يضرب ضربا وعليه فهلك متعد في لغة بني تميم كما سيأتي

والثاني يدل على أن فعله من باب دهب . يقال هَلَك يَهْلَك هلاكا . كما يقال دهب يدهب دهابا .

---

(١) المصباح ماده كلأ

(٢) انظر شواهد الشافية / ٣٣٥ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١٠٧

(٣) انظر المزهر للسيوطي ١ / ٢٢٦

والثالث ينبئنا أن فعله من باب قعد ، يقال هَلَك يهلُك هلوكا كما يقال . قعد يقعد قعودا(*)(١)

ومن الثانى المصدران (هَوِيًّا وهُوِيّا) بفتح الهاء فى الأول وضمها فى الثانى ، وفعلهما (هَوَى يهوى) كما ورد فى الحديث : « أتانى جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، فحملنى عليه ثم انطلق يهوى . . الحديث » فيهوى معناه . يسير ، وقد يكون ذلك فى الهبوط والصعود معا وهما ضدان ، ولما كان الهبوط أخف على الهابط من الصعود ناسب أن يكون مصدرُه (هَوِيا) بفتح الهاء لأن الفتح خفيف ، ولما كان الصعود على المرء شاقًّا ناسب أن يكون مصدره (هُوِيا) بضم الهاء لأن الضم أثقل الحركات .(٢)

وقد يتعدد مصدر الفعل الواحد لتعدد الواضعين مثل مايجىء على وزن (فَعّل) من الأفعال كقدم وكذب وقصر ، فقد ورد له مصدران التفعيلُ وهو لغة جمهور العرب ، والفِعّال وهو لغة يمانية ، وقد ورد باللغتين التنزيل فى قوله تعالى . « . أحدوا وقتلوا تقتيلا » الأحزاب / ٦١ وهذه لغة جمهور العرب ، ونحو قوله : «وكذّبوا بآياتنا كِذابا » النبأ / ٢٨ وهذه لأهل اليمن .

قال الفراءُ : هى لغة يمانيةٌ فصيحة ، يقولون : كذّبتُ به كِذّابا ، وخرّقت

(*) ليس فى « المصباح » هلك يهلك مثل ذهب يذهب والذى فيه هو « هلك الشئ هلكا من باب ضرب ، وهلاكا وهلوكا ومهلكا بفتح الميم وأما اللام فمثلثة » والمهم هو أن هلك يهلك دون ذهب يذهب ، ليس من أصل الوضع ، لتخلف شرط أن يكون حلقى العين أو اللام ، إلا إذا كان من « تداخل اللغات » لورود ه من باب فرح ومن باب ضرب . وهذا هو ما ذكره « لسان العرب » . « ومن الشاذ قراءة من قرأ (ونهلك الحرث والنسل) وهو من باب ركن يركن وقنط يقنط وكل ذلك عند أبى بكر لغات مختلطة قال وقد يجوز أن يكون ماضى يهلك هلك كقطف فاستغنى عنه بهلك وبقيت يهلك دليلا عليها » التحرير . م . ع

(١) انظر المصباح مادة (هلك)

(٢) انظر عدد الحديث للحطاى ١ / ١٥٣

الثوب خِرَّاقا ، وكل (فَعَّلت) مصدره (فِعَّال) فى لغتهم مشدد قال لى أعرابى منهم على المروة آلْحلقُ أحبُّ إليك أم القِصَّارُ أى التقصير ؟ وأنشدنى بعض بنى كلاب .

لقد طال ماثَبطتنِى عن صحابتى
وعن حوج قِضَّاؤُها من شفائيا

أراد : تقصيتها مثل تركية وتربية .[1]

هذا من ناحية الوضع . أما من ناحية الأصول فقد اختلفت القبائل فى مالم يسمع مصدره مما جاء على (فَعَل) من الأفعال متعديا كان أو لازما .

قال الفراءُ : مالم يسمع له مصدر من (فَعَل) متعديا كان أو لازما فقياس مصدره (فُعُول) عند أهل نجد ، و (فَعْل) عند الحجازيين . . .[2]

خامسا : الاختلاف فى تعدى الفعل بنفسه تارة عند قوم وبالحرف تارة أخرى عند آخرين من ذلك الفعل (هلك) فهو يتعدى بالهمزة عند جمهور العرب ، يقال أهلكته ، وفى لغة بنى تميم يتعدى بنفسه ، فيقال هلكته واستهلكته بمعنى أهلكته[3]

والفعل (هدى) يتعدى بنفسه إلى المفعول الثانى عند أهل الحجاز ، وبالحرف عند غيرهم حكى ذلك الأخفش ، تقول . هديته الطريق وإلى الطريق ، والدارَ وإلى الدارِ . أى عرفته ، وباللغتين ورد القرآن الكريم فى قوله : «اهدنا الصراط المستقيم» أم الكتاب/٦ وقوله . «ويهديك صراطا مستقيما» الفتح / ٢ ، فى الآيتين نصب الفعل المفعولين بنفسه على لغة أهل الحجاز ، وعلى لغة تميم ورد قوله «والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» البقرة / ٢١٣ ، وقوله . «الحمد لله الذى هدانا لهذا . . .» الأعراف / ٤٣ ، ففى هاتين الآيتين نصب الفعل المفعول الأول بنفسه وتعدى إلى الثانى فى الأولى بإلى وفى الثانية باللام[4]

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٣ / ٢٢٩ ، وشرح المفصل ٦/٤٤ ، والقاموس والتاج مادة (كدب)

(٢) انظر شرح الشافية ١ / ١٥٧

(٣) انظر المصباح مادة (هلك)

(٤) انظر القرطبى ١ / ١٤٦ ، ١٦٠ ، والصحاح للجوهرى (هدى) والمعجم المفهرس مادة (هدى).

وكذلك الفعل (رَوَّح) تعدى إلى المفعول الثانى عند جمهور العرب بنفسه . والباء فى قوله أرْد شيوعه . وتروح كذلك .

قال يونس : العرب تقول زوجته امرأةَ وتزوجت امرأةً بغير تاء ، فأما قوله « وزوجناهم بحور عين » الدخان / ٥٤ فمعناه قرناهم ، مثل قوله . « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » الصافات / ٢٢ : أى قرناءهم وقال الفراء الساء لغة أزدشنوءة[1]

سادسا : الاختلاف فى صيغ الأفعال .

وهكذا كثير جدا عدد الحصى ، والطريق إلى معرفته النظر الدؤوب فى المعاجم العربيه ثم كتب النحو والصرف .

من ذلك الفعل (ضَلَّ) فهو من باب ضرب فى لغه أهل نجد وهى الفصيحه نحو قوله « قل إن ضَلَلْتُ فإنما أضِلُّ على نفسى » سبأ / ٥٠ ، وبها قرأ الجمهور ، وقال أبو حيان : هى لغة تميم . إلا أن الفرق بين السببين يسير . وجاء من باب تعب فى لغه أهل العاليه نحو ضَلّ يَضَلُّ وقد قرئ باللغتين[2]

والفعل (مات) قد جاء من باب نصر فى لغة سفلى مضر ، يقولون مات يموت . ومن باب علم فى لغه أهل الحجاز يقولون مات يمات . وقد قرئ باللغتين قولُهُ تعالى ولئن مُتم أو قتلتم . » آل عمران / ١٥٨ ، وعلى لغه أهل الحجاز جاء قول الشاعر .

تَمَنَّى سيدةَ الشابِ
عيشى ولا يأْمَنْ أن تَمانى

قال الصاغانى فى العباب . قد مات يموت ويمات ـ أيضا ـ وأكثر من يتكلم بها طيئ أى (مات يماتُ) وقد تكلم بها سائر العرب . وقال يونس فى كتاب اللغات إنَّ (يميت) فيها لغة[3] .

---

(١) انظر المشوف المعلم للعكبرى / ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، والصحاح للجوهرى مادة (روح)

(٢) انظر البحر ٧ / ٢٩٢ ، والمشوف المعلم / ٤٥٤ ، والقرطبى ١٤ / ٣١٤ ، والتبيان للعكبرى / ٦٤٣ واللسان والتاج والقاموس والمصباح مادة (ضل)

(٣) انظر البحر ٣ / ٩٦ ، وشرح شواهد الشافيه / ٥٧ وما بعدها ، وابن يعيش ١٠ / ٦٩ تهميشة / ١ ، والتصريح ٢ / ٣٤٥ ، والقاموس مادة (مات) ، وحجة أبى زرعة / ١٧٨

من ذلك يتبين لنا أنه جاء مضارع مات من أبواب نصر وضرب وعلم

وكذلك الفعل (ضار) فقد جاء من باب ضرب فى لغة جمهور العرب يقال ضاره يضيره أى يضره ، ومن باب نصر فى لغة أهل العالية ، حكى الكسائى عن بعض أهل العالية لايضعنى هذا ولا يضورنى . ولغة الجمهور أفصح حيث يدل عليها المصدرُ (ضير) كما فى قوله تعالى . « قالوا » لاضير . » الشعراء / ٥٠ ولم يرد فيه صور ومن هنا يستعمل المصدرُ (ضير) للفعل على اللغتين

ومنه أيضا الفعل حسب بمعنى ظن قد ورد من باب علم فى لغة جمهور العرب يقال : حسب يحسَب ، وورد فى لغة كنانة بكسر العين فى الماضى والمضارع يقال : حَسِبَ يَحْسِبُ . وذلك ليتماثل المضارع الماضى . وقد قرئ باللغتين . وإن كان الفتح أقيس[1]

وبنو عامر يأتون بمضارع كل مثال واوى ما ضيه على (فَعَلَ) من باب نصر ، نحو وحَد يَحِدُ ، قال شاعرهم لبيد بن ربيعة العامرى :

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة
تدعُ الصوادِىَ لايجُدْن غليلا

وهذا على خلاف القياس . وقد قصر الفارابى هذه اللغة على المسموع وهو (يحُد) فقط . وقاسها ابن مالك فى التسهيل فى كل مثال واوى نحو وعد يَعُد . وولد يَلُد ونحوهما[2] . .

كما نجد طيئ تحول صيغة (فَعِل) المعتل اللام بالياء إلى (فَعَلَ) نحو (رَضا) فى (رضِىَ) و (بقا) فى بقِى) . بقلب الكسرة فتحة ، والياء ألفاً قال شاعرهم زيد الخيل

لعمرك ما أحتى التصعلك ما بقَا
على الأرض قيسِىٌّ يسوق الأباعرا

أراد . ما بقِىَ . وكذلك يقولون .
نُبِىَ وهُدِى مبنيين للمجهول . نُبا ، وهُدَى[3] .

---

(١) كتاب ليس فى كلام العرب / ٤٠ ، والمذكر والمؤنث للمبرد ٢ / ٧٤٧ ، وتهذيب أبى زرعة / ١٤٨ ، والمصباح مادة (حسب) ، والقرطبى ٣ / ٣٤١

(٢) انظر شرح الشافية ١ / ١٣٢ تهذيب / ١ أوضح مسالك / ٥٣ ، وكتاب ليس فى كلام العرب / ٣٩

(٣) انظر النوادر لأبى زيد / ٦٨ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٤ ، ١٧٩ ، وشرح شواهد الشافية / ٤٨ ، وكتاب ليس فى كلام العرب / ٢٩ ، والصاحبى لابن فارس / ١٦٦ وما بعدها

إن تعدد أبواب الأفعال فى لغات القبائل يؤدى إلى تعدد مصادرها ، وقد يرد للفعل ذى الباب الواحد مصادر متعددة وتلك تعمل على تعدد الواضعين كذلك

سابعاً الاحتلاف بالتضاد ، والاشتراك والترادف .

من ذلك أن يسمى المتضادان باسم واحد ، والأصل واحد . فيقال للصبح : صريم ولليل صريم ، قال تعالى : « فأصبحت كالصريم » (القلم ٢٠) . أى سوداء كالليل ؛ لأن الليل ينصرم عن النهار والنهار ينصرم عن الليل[1] .

ومنه الفعل (وثب) فهو فى لغة حمير بمعنى (قعد) وفى لغة بنى نزار بمعنى (طمر) أى وثب من أعلى إلى أسفل ، ـ يدل على ذلك ماحكاه الأصمعى قال دخل رجل من العرب (من بنى كلاب أو بنى عامر بن صعصعة) على ملك من ملوك حمير : (هو دوجدن) فأطلع إلى سطح ، والملك عليه ، فلما رآه الملك احتبره . فقال له (ثب) . أى اقعد ، فقال ليعلم الملك أنى سامع مطيع ، ثم وثب من السطح فتكسر ، فقال الملك .ماشأنه؟ فقالوا له أديت اللعن ، إن الوثب فى كلام نزار (الطمر) ، فقال الملك . ليست عربيتنا كعربيتهم ، من دخل طَمارِ حَمَّر ، أى ليتكلم بالحميرية[2] .

فانظر كيف كان الاختلاف فى معنى كلمة واحدة قد أودى بحياة من لا ذنب له ولا جريرة .

ومما تعددت معانيه على سبيل الاشتراك (الإدفاء) فقد ذكرت كتب المعاجم له المعانى التالية . الإدفاء بمعنى الإعطاء الكثير ، يقال أدفأه إدفاء إذا أعطاه عطاء كثيراً وهو محار ، والإدفاء الاجتماع ، يقال أدفأ القوم احتمعوا ، والإدفاء القتل فى لغة بعض العرب ، ففى الحديث . أُتِىَ بأسير يرعد ، فقال للقوم اذهبوا به فأدفوه ، فذهبوا به فقتلوه . والمراد . الإدفاء من الدفء ، وأن يدفأ بثوب .فحسبوه بمعنى القتل فى لغة أهل اليمن

---

(١) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة / ١٨٧ ، وكتاب الأضداد لابن الأنبارى / ٨

(٢) انظر الصحاح للجوهرى مادة (وثب) والمزهر للسيوطى ١ / ٢٣٤ ، والجمهرة لابن دريد ٢ / ٣٧٨

وفى قول الرسول عليه السلام إشارة إلى لغة قريش وهى عدم الهمز ، حيث قال فأدهوه ، أى أدهئوه بالهمز مخففة بحذفها ، والقياس أن تجعل الهمرة بين بين لا أن تحذف ، لأن الهمز ليس من لغة قريش[1]

وانظروا كيف أدى الاختلاف فى المعنى إلى قتل امرئ لم يكسبْ خطيئةً أو إثماً .

ومما تعددت ألفاظه من المعانى ما ذكره ثعلب فى أماليه . يقال : سويداء قلبه ، وحبة قلبه ، وسواد قلبه ، وسوادة قلبه ، وجلجلان قلبه وسوداء قلبه بمعنى إلى غير ذلك مما هو معلوم معهود فى كتب اللغة والمعاجم[2] .

تاسا : الاختلاف فى التجرد والزيادة : بمعنى أننا نجد صيغة ما لفعل من الأفعال مجردة عند فريق ، ومزيدة عند فريق آخر بمعناها حال التجرد ، على خلاف المشهور من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

من ذلك الفعل (راب) بمعنى ظن أو شك ، فجمهور العرب يستعملونه مجردًا ، يقال رابنى الشىء يريبنى ، إذا جعلك شاكاً ، قال أبوزيد : رابنى من فلان أمر يريبنى ريباً ، إذا استيقنت منه الريبة ، فإذا أسأت الظن به ولم تستيقن منه الريبة ، قلت أرابنى منه أمر . . وفى لغة هذيل راب وأراب بمعنى ، تقول . أرابنى قربت أنا وارتبت : أى شككت .

قال الزبيدى : أعلم أن (أراب) قد يأتى متعدياً وغير متعد ، فمن عداه جعله بمعنى (راب) وعليه قول خالد (هو ابن رهير الهذلى) :

* كأنى أريته بريب *

ويروى قول خالد :

* كأسى قذريته بريب *

فيكون على هذا (راسى وأربنى) فى لغة هذيل بمعنى واحد وأما (أراب) اللازم فهو بمعنى : أتى بريبة ، كما يقال ألام : أى أتى بما يلام عليه[3] وعلى

---

(١) انظر التاج ١ /٦٦

(٢) المزهر ١/٢ ٢٤ ٢٤٤

(٣) انظر التاج والمصباح / مادة راب .

امة هذيل يمكن تحريج قوله عليه السلام « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »

هذا ولم يرد فى القرآن الكريم من هذه المادة إلا (ارتاب) ماضيا نحو قوله « إذا لارتاب المبطلون » العنكبوت / ٢٨ . أومستقبلا نحو قوله « ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون » المدثر / ٣١ ، وكذلك اسم الفاعل أو المصدر منه نحو قوله « كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب »

أما (راب) فقد استدل عليه بالمصدر نحو الريب والريبة ، قال الله تعالى « ذلك الكتاب لاريب فيه » البقرة / ٢ ، وقال «لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » التوبة / ١١٠

وأما (أراب) فقد أومأ إليه أساوب القرآن الكريم باسم فاعله ، (مريب) نحو قوله تعالى « وإنهم لفى شك منه مريب » إبراهيم / ٩ . إلخ[1] .

هذا وقد أحصيت أفعالا كثيرة جاءت مجرده ومزيدة بمعنى واحد منها رمست الميت وأرمسته لغتان بمعنى ، وجرم وأجرم وبهما قرئ قوله « ولايجرمنكم » وحب وأحب ، وحسر وأحسر ، وأهات الدقيق لغة فى هات . ونشر وأنشر وبهما قرئ قوله تعالى «ثم إذا شاء أنشره » إلخ[2]

تاسعاً . الخلاف بصرف بعض الأسماء ومنعها .

من ذلك صرف ماجاء على وزن (فعلان) وصفاً فى لغة بنى أسد ، لأنهم يلحقون مؤنثه التاء يقولون سكرانٌ وسكرانةٌ وشبعانٌ وشبعانةٌ وعرثان وعرثانة يصولون . هذا رجلٌ غضبانٌ ورأيت رجلا عصباناً ، ومررت برجل عصبانٍ[3]

قال الزبيدى ذكر يعقوب أن ذلك ضعيف ردىء ، وقال أبو حاتم : لبنى أسد مساكير لايؤْخذ بها .

---

(١) انظر المعجم المفهرس مادة راب

(٢) انظر أدب الكاتب لابن قتيبه / ٣٣٣ وما بعدها ، والمخصص لابن سيده ١٤ / ٢٣٧ وما بعدها ، وفعلت وأفعلت لأبى إسحق الزجاج / ١٨ وما بعدها

(٣) انظر المنصف المعلم ١ / ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨ ، وشرح الكافية ١ / ٦٠ وشرح المفصل ١ / ٦٧

وجمهور العرب يمنعون (فعلان) إذا خلا مؤنثه من التاء . وأما ما لحقته التاء فيصرفونه نحو ندمانٍ وسيمانٍ وأحواتهما ، لأن مؤنثتهما فيه التاء نحو ندمانة وسيفانة .

وأما منتهى الجموع فى قوله تعالى « إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وَسَعيرا » الإنسان / ٤ فقد قرأ بمنع الصرف طلحة وعمرو بن عبيد وابن كثير وأبو عمرو وحمزة وقفاً ووصلا ، وقرأ أكثر السبعة بالتنوين وصلا ، وبالألف المبدلة منه وقفاً ، وهى قراءة الأعمش ، قيل . وهذا على ما حكاه الأخفش من لغة من يصرف كل ما لاينصرف إلا (أفعل من) وهى لغة التميميين ، ثم كثر حتى جرى فى كلامهم . وقال بعض الرجاز

والصرف فى الجمع أتى كثيرا
حتى ادعى قوم به التخييرا

كما ورد صرف (قَوَارِيرَ) فى قوله تعالى « . . وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ » الإنسان / ١٥ وشبه الصرف فى مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة ، وفى مصحف أبى وعبد الله

وقال الكسائى والفراء هو على لغة من يُجْرِى الأسماء كلها إلا قولهم (هو أطرف منك) فإنهم لا يجرونه ، وأنشد ابن الأعرابى فى ذلك قولَ عمرو بن ابن كلثوم

كأن سيوفنا منا ومنهم
مخاريقٌ بأيدى لاعبينا

وقال لبيد

فصلا وذو كرمٍ يعينُ على الندى
سمحٌ كسوبُ رغائبٍ غَنَّامُها

ولهم فى الآيتين تخريجات أهمها أنه لغة أو للمشاكلة ، قال ابن مالك

ولاضطرار أو تناسب صرف
ما دون المنع ، والمصروف قد لاينصرف

قال أبو حيان . وروى أن من العرب من يصرف ما لاينصرف رأيت عُمرًا بالألف وقفاً[1]

---

(١) انظر البحر المحيط ٨ / ٣٩٤ وما بعدها ، وحجة القراءات لابن زنجلة / ٧٣٧ وما بعدها ، وحجة ابن خالويه / ٣٥٨ ومعانى القرآن للفراء تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٣ / ٢١٤ ، والقرطبى ١٩ / ١٢٣ وما بعدها وهمع الهوامع ١ / ٣١ ، وابن عقيل بحاشية الخضرى ٢ / ١٠٩ ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٣ / ١٥١٢ ، والتصريح ٢ / ٢٢٧ ، وإحياء النحو لإبراهيم مصطفى / ١٧٣

عاشرًا : الاختلاف بالتذكير والتأنيث ·

لقد تلعبت العرب فى الأسماء بالتذكير والتأنيث بما تحار فيه الألباب ، إذ نرى الكلمة عند قوم منهم مؤنثة دون تاء . وعند آخرين منهم مؤنثة بالتاء من ذلك كلمة زوج فهى مؤنث بغير تاء فى لغة أهل الحجار ، يقال : الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل ، وهده هى لغة القرآن الكريم نحو قوله : « اسْكُن أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ » البقرة / ٣٥ ، وجمع روج بغير تاء أزواج ،قال تعالى · « وَلَهُمْ فِيهَا أَزواجٌ مُطَهَّرَةٌ » البقرة / ٢٥ ووردت بالتاء فى لغة تميم وكثيرٍ من قيس وأهل نجد ، يقال الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوجة الرجل ، قال الفرزدق :

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى
كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها

وقال ذو الرمة :

أذو زوجة بالمصر أو ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العامَ ثاويا ؟

قال الأصمعى ولا تكاد العرب تقول (زوحة) وهذا يخالف الواقع ، فقد جاء فى الحديث عن النبى- صلى الله عليه وسلم- أنه كان مع إحدى نسائه فمر به رحل ، فدعاه وجاء فقال . ياولانُ هذه زوجتى فلانة ، فقال يا رسول الله . من كنت أظن به ، فلم أكن أظن بك . . » . الحديث . وقد عال بعضهم بأن التاء فى زوجة لتأكيد التأنيث كقولهم فى فرس فرسة ، وفى امرأة عجوز ، عجوزة .

وفى البحر لأبى حيان · وذكر الفراء أن زوجاً المراد به المؤنث فيه لغتان زوج بغيرهاء لغة أهل الحجاز ، وزوجة بهاء لغة تميم وكثير من قيس وأهل نجد ،وروى الكسائى أن أزد شنوءة تقول . زوح وزوجة بالهاء ودونها جمعابين اللغتين[1] . وجمع زوجة زوجات كقول الشاعر .

يا صاح بلغ ذوى الزوجات كُلِّهِمُ
أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب

ومن ذلك اختلافُ القبائل فى تذكير وتأنيث اسم الجنس الجمعى نحو نحل

---

(١) انظر البحر ١ / ١٠٩ ، والقرطبى ١ / ٢٤٠ ، ٣٠١ ، وتفسير النهر الماد لأبى حيان ١ / ١٥٦

وبمر . إلخ قال ابن السكيت . فأهل الحجاز يؤنثون أكثره فيقولون . هى التمر ، وهى البر ، وهى النخل . إلخ وأهل نجد وتميم يذكرون ويؤنثون فيقولون نخل كريم وكريمة وكرائم وباللغتين ورد التنزيل فى قوله تعالى : « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ منقَعِرٍ » القمر / ٢٠ فقد ذكر الوصف حملا على لغة تميم ، وقوله تعالى : « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ » الحاقة–٧ ، فقد أنث الوصف جملا على لغة أهل الحجاز .

قال أبو حيان والنحل اسم جنس يذكر ويؤنث وإنما ذكر فى قوله تعالى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نحل منقَعِرٍ »لمناسبة الفواصل وأنث فى قوله تعالى « أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ » لمناسبة الفواصل أيضاً[1] .

إلى غير ذلك من الطواهر التى أعجز أن آتى عليها فى هذه الدراسة المحدودة الرمس.

وبعد ، فإن دراسة لغات العرب ذات ثمار دانية ومنها يمكننا الوقوف على الآتى

ـ التمييز بين الفصيح لكثرته وشيوعه فى كلام الفصحاء ، وبين غيره لقلته ونذرته أو قبحه .

تيسير درس النحو ، والتخفيف من كثرة التأويل فيه والتقدير ، ولاسيما إذا اشتملت بعض عناصره على ما خالف المشهور من كلام العرب مثل لغة إلزام المثنى الألف فى قراءة قوله تعالى : « إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ » ، وإلزام جمع المذكر السالم الواو أو الياء لغتين ، وتسكين أو فتح عين جمع المؤنث السالم إذا كانت معتلة ، ورفع المستثنى بعد الموجب ، وكاستثناء تميم المفرد من المفرد فى نحو قولهم : ما أتانى زيد إلا زيدٌ ، وما أهانه إخوانكم إلا إخوانه . إلخ .

التسليم بأن اختلاف النحاة لم يك من لدى أنفسهم ، وإنما قام صرحه ، وبنيت قواعده على احتلاف لغات العرب

منها هم أولئك البصريون تراهم يبنون قواعدهم على الأكثر والأشيع ، الأمر الذى ترتب عليه وجود ما يسمى بالقليل والنادر والشاذ والقبيح عندهم ؛ يؤكد لنا صحة

---

(١) انظر المصباح مادة (نحل) والبحر ٨ / ١٧٩

ذلك قول أحد شيوخهم ، أبى عمرو بن العلاء . وذلك حين سأله أبو عمرو فقال آخبرنى عما وضعته مما سميت عربية . أيدخل فيه كلام العرب كله ؟

فقال لا .

فقال كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ .

فقال . أحمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات[1]

وهاهم أولئك الكوفيون تحدهم قد توسعوا فى أصولهم ، وأكثروا من قواعدهم تسليماً بماروى عن الفصحاء ، وبما جادت به السليقة ـ فبنوا أصولهم على القليل والنادر .

ـ الإيمان بأن القرآن الكريم قد حفظ العرب لغتهم ، وأنه لو لم ترد قراءاته بلغاتهم لأخفى عليها الذى أخفى على لبَد ، ولطمست أصواؤها ، ونسفت رواسيها من صربات أهل القياس ، وضاقت مسالكها .

موقف النقاد من تلك اللغات :

هناك موقفان متضادان تماماً :

الأول متشدد ينطلق أصحابه فى تقديم اللغوى من خلال القواعد المشهورة وهذا بالطبع يؤدى إلى تخطئة السليقة ، وإنكار المطرد ، مثل صنيع العقاد مع عمر ابن أبى ربيعة المخزومى حيث خطأه فى قوله .

فهلا تسألى أفناء سعد

وقد تبدو التحارب للسيب

حيث قال (تسألى) بحذف النون ، والقياس تسألين ، لعدم وجود الجازم أو فى قوله .

من دا يلمى إن بكيت صبابة

أو نحت صبا بالفؤاد المنضج

بجزم يلوم ، و (من) هنا لا تجزم ، وفى قوله .

فقلت لهم كيف الشربا ؟ هبلتم

فقالوا ستدرى ما مكرنا وتعلم

---

(١) المزهر للسيوطى ١ / ١١١ ، ١١٢

بنصب (تعلم) فى الموجب ، ثم قال إلى نظائر لهذه الأخطاء والعثرات التى لا تراها على كثرة فى كلام أمراء الفصاحة

أقول : إن العقاد ، وهو من هو علما وسعة اطلاع قد خطأ السليقة الموضوعة فى مكانها ، وأنكر الفطرة المنطلقة بفنون بيئتها ، منتصراً عليها بقواعد النحاة وما كان له ذلك إذ تلك لغتهم وقد وردت لها نظائر فى أساليب القرآن الكريم ومتى سايدها القرآن فليس لأحدمهما كان أو يكن أن ينال منها ، فقد اتفق علماء اللغة على أنه لايحوز تخطئة الفصيح أوالأعرابى وأن كلام العرب المعروف عندهم أولى من مقاييس المولدين فصلا عن أن ماعدده العقاد من أخطاء له وجه طاهر حسن فى العربية ، ولأهل القياس الذين انتصر بقواعدهم فحكم على السليقة بالخطأ – توجيه وتأويل حسن ، لايمكن أن نعرض له هنا وسأرجىء القول فيه إلى بحث أستو فى فيه كل جوانبه ، إلا أنه يلزمنى أن أشيرهنا إلى أنه لايجوز لناقد أى ناقد ،أن يحطئ الفصحاء إلا بعد أن يحيط بأبعاد تلك المسائل النحوية ولغات العرب فيها وأن يستوفى عدته منها كاملة .

ثانيا . الإباحة المطلقة للأديب ،كاتبا كان أوشاعرًا ،بأن يتجاوز المقاييس والمماميع فينصب الفاعل والمفعول ، أويرفعهما ، لأغراض بلاغية لاتتناهى ، وذلك انطلاقا من قاعدة كسر البناء التى يدعو أصحابها إلى الخروج على القواعد ، ولهذه القاعدة تفسيران عندى .

أحدهما أن المقصود بتلك القاعدة قبول كل ما ورد عن الفصحاء وبرواية الثقات فهذا لاعبار عليه ، ولا مفر منه .

ثانيهما : وإن كان المقصود تجاوز كل ما سمع عن العرب ، وذلك بإحداث مالم يرد عنهم فهذا رد ، لا يمكن قبوله ؛ حيث يفضى إلى الفوضى فى اللغة والهدم لها ، وإنما الواجب أن نقف من الوارد موقف القدماء ، فنقيس على الشائع ونقف عند النادر والشاذ فى حرفه مثل نصب الفاعل والمفعول فى قول الشاعر :

قد سالم الحياتُ منه القدما
الأفعوانَ والشجاع الشجعما

(*) المرجع

(١) انظر النقد المنهجى عند العرب / ٢٦٥ للدكتور محمد مندور

بنصب القدما والشجاع ، فهذا مما يوقف عنده ولا يقاس عليه ،وأن كان له تأويل مقبول عند النحاة يتفق والقواعد المشهورة .

لذا ينبغى آن نقيس كَلا مَنَا على كلام العرب وشعرنا على شعرهم ، عملابالأصل القائل : ماقيس على كلام العرب فهو عربى ، وقول ابن مالك .

. . . . . .

فما أُبيحَ افعل ودَع مالم يُبَح.

هذا قل من كثر وغيض من فيض مما اختلفت فيه لغات العرب ، أردت بها إقناع النفس وإرضاءها بما تعانيه من جل الخلاف الواقع فى لسانهم ، وهو إن دل على شىء ، فإنما يدل على سعة العربية وتجاوبها مع الأفهام والعقول ، حيث تشتمل على ما يرتضيه العلية من الفصحاء والوسط والدون ، وإلا كانت مثل غيرها من اللغات التى احتجبت عن عظم أبنائها ، واختصت بالقلة منهم ،وفى حدود ضيقة ، كالخطابة بالسريانية مثلا ، إذ يخطب بها رجال الكنيسة دون علم من الجمهور بها .

إن سعة العربية إن هى إلا فضل من الله على العرب جميعاً ،يجلى ذلك لنا نزول القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، ولولا هذه السعة ما أدركه كثير من العرب وهم أول المخاطبين به ، المدعوّين إليه .

عبد الرحمن محمد اسماعيل

مصادر البحث

اسم الكتاب	مؤلفه	محققه
١ – القرآن الكريم		
٢ – إحياء النحو	الشيخ إبراهيم مصطفى	
٣ – أدب الكاتب	أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة	الشيخ محيي الدين عبد الحميد
٤ – إعراب القرآن	أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى	إبراهيم عطوة عوض
٥ – الإشارة إلى الإيجاز فى أنواع المجاز	العز بن عبد السلام	
٦ – الأشباه والنظائر النحوية	جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى	طه عبدالرووف سعد
٧ – الألفية	محمد بن عبد الله بن مالك	
٨ – الأمالى الشجرية	ضياء الدين أبو السعادات هبة الله المعروف بابن الشجرى	
٩ – البحر المحيط	محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان	
١٠ – التبصرة والتذكرة	أبو محمد عبد الله بن على بن اسحاق الصيمرى	د / فتحى أحمد مصطفى
١١ – التبيان فى إعراب القرآن	أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى .	الأستاذ على محمد البجاوى

اسم المصدر	مؤلفه	محققه
١٢ – التصريح على التوضيح	خالد بن عبد الله الأزهرى	
١٣ – الجمهرة	أبو بكر بن دريد	
١٤ – الخصائص	أبو الفتح عثمان بن جنى	الشيخ محمد على النجار
١٥ – الدرر اللوامع على همع الهوامع	الرحالة أحمد بن الأمين الشنقيطى	
١٦ – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)	إسماعيل بن حماد الجوهرى	أحمد عبد الغفور عطار
١٧ – العقد الفريد	ابن عبد ربه	
١٨ – القاموس	الفيروزابادى	
١٩ – الاقتراح	جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى	د – أحمد قاسم
٢٠ – الكتاب	أبو بشر عمرو سيبويه	
٢١ – المحتسب	أبو الفتح عثمان بن جنى	عبد الفتاح إسماعيل شلبى وآخرون
٢٢ – المزهر فى علوم العربية وآدابها	جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى	
٢٣ – المشوف المعلم	أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى	ياسين محمد السواس

اسم المصدر	مؤلفه	محققه
٢٤ ـ المصباح المنير	أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى	
٢٥ ـ المعجم المفهرس	محمد فؤاد عبد الباقى	
٢٦ ـ النقد المنهجى	محمد مبدور	
٢٧ ـ النوادر فى اللغة	أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى	
٢٨ ـ الهمع	جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى	
٢٩ ـ تأويل مشكل القرآن	أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه	سيد صقر
٣٠ ـ تاج العروس	السيد محمد مرتضى الزبيدى	
٣١ ـ تفسير القرطبى	أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصارى	
٣٢ ـ تفسير النهر الماد	محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان	
٣٣ ـ جمهرة أشعار العرب	أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى	
٣٤ ـ حاشية الخضرى	محمد الخضرى الدمياطى	
٤٥ ـ حاشية عبادة على الشذور	محمد عبادة العدوى	

اسم المصدر	مؤلفه	محققه
٣٦ ـ حاشية يس على التصريح	يس بن زين الدين العليمى	
٣٧ ـ حجة القراءات	أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه	د / عبد العال سالم مكرم
٣٨ ـ حجة القراءات	أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة	سعيد الأفغانى
٣٩ ـ خزانة الأدب	عبد القادر بن عمر البغدادى	
٤٠ ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم	محمد عبد الخالق عضيمة	
٤١ ـ ديوان حسان بن ثابت	حسان بن ثابت	
٤٢ ـ شرح شافية بن الحاجب	رضى الدين الأستراباذى	محمد نور الحسن (بالاشتراك)
٤٣ ـ شرح شواهد الشافية	عبد القادر بن عمر البغدادى	محمد نور الحسن (بالاشتراك)
٤٤ ـ شرح كافية ابن الحاجب	رضى الدين الاستراباذى	
٤٥ ـ شرح الكافية الشافية	محمد بن عبد الله بن مالك	د / عبد المنعم أحمد هريدى
٤٦ ـ شرح قصيدة بانت سعاد	أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصارى	
٤٧ ـ شرح ابن عقيل	بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن	الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

اسم المصدر	مؤلفه	محققه
٤٨ ـ شرح المفصل	موفق الدين أبو البقاء يعيش بن على	
٤٩ ـ ضرائر الشعر	أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى	د/ محمدزغلول (بالاشتراك)
٥٠ ـ غريب الحديث	أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابى	عبد الكريم إبراهيم الغرباوى
٥١ ـ كتاب ليس فى كلام العرب	أبو عبد الله الحسين أحمد بن خالويه	أحمد عبدالغفور عطار
٥٢ ـ كتاب الأضداد	ابن الأنبارى	
٥٣ ـ مغنى اللبيب	أبو محمد جمال الدين عبد الله ابن يوسف	محمد محيى الدين عبد الحميد
٥٤ ـ لسان العرب	ابن منظور المصرى	
٥٥ ـ معانى القرآن	الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد ابن عبد الله	محمد على النجار ود/ عبد الفتاح إسماعيل شلبى